الباب الثالث: تطبيق النظرية.

* **الفصل الأول: التعريف بالروايةّ (روبنسون كروزو).**
* **الفصل الثاني: تطبيق النظريةّ على نص الروايةّ.**
* **الفصل الثالث: مواضع وحالاتّ تطبيق النظريةّ.**

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول: التعريف بالرواية ﴿ روبنسون كروزو ﴾.

- لماذا روبنسون كروزو بالتحديد ؟.
- وصف الرواية.
- مجريات الرواية.

obeikandl.com

obeikandl.com

لماذا روبنسون كروزو بالتحديد؟

أي شخص لم يطلع على فرضيات نظرية التحليل الجغرافي التي شرحناها آنفًا، ولم يلم بتفاصيل وأحداث ومجريات رواية روبنسون كروزو، من حقه أن يطرح هذا السؤال، إذ يبدو سؤالًا منطقيًا في هذه الحالة وبلا شك. فلماذا روبنسون كروزو دون غيره من نصوص الأدب؟، ولماذا هذه الرواية بالتحديد؟.

اخترت هذا النص بالتحديد، ليكون أول نص أدبي تطبق عليه نظريتي، نظرية التحليل الجغرافي للأدب، وذلك للأسباب التالية:

١) كون روبنسون كروزو رواية شهيرة، ذائعة الصيت، عالمية الانتشار.

٢) كونها رواية بسيطة التكوين وخالية من التعقيد.

٣) يفهمها القارئ أو المتذوق ويستوعبها بيسر وسهولة.

٤) كونها غنية بالجغرافيا الحقيقية الخالية من التخييل (أي غناها بالمعلومات الجغرافية الحقيقية المثبتة في علم الجغرافيا).

٥) لأن مسرح الأحداث الخاص بهذه الرواية، طاف بعدد كبير من الدول والمدن والأماكن الأخرى المختلفة.

٦) كونها غنية بل ثرية بالعلامات الجغرافية المتنوعة.

في الحقيقة هناك عدد كبير وهائل من نصوص الأدب المختلفة الجنسيات، تبدو مناسبة ومؤهلة لتطبيق نظرية التحليل الجغرافي للأدب. لكنني آثرت أن يكون روبنسون كروزو هو أول نص أدبي تطبق عليه النظرية. وذلك لثقتي الراسخة في أن هذا النص بالتحديد، سيحقق البداية الأفضل والأنسب والأقوى لتطبيقات النظرية على النصوص الأدبية. فتطبيق أي

نظرية أدبية على أول نص أدبي تطبق عليه هذه النظرية، يعد أمرًا حساسًا وبلا شك، كون ذلك التطبيق هو الذي سيروج للنظرية، وسيكشف مدى نجاحها أو إخفاقها، مدى قوتها أو ضعفها. أي باختصار شديد نقول أن تطبيق النظرية على النص الأول سيترك انطباعًا مبدئيًا First Impression عند النقاد والمتذوقين بشأن هذه النظرية ومدى أدائها وقوتها. لذلك فلا بد أن يكون أداء النظرية قويًا ومميزًا في أول تطبيق لها على نصوص الأدب. ويشترط في أول نص أدبي تطبق عليه تلك النظرية، أن يكون ذات مواصفات معيارية مثالية، تمكنه أن يكون واجهة مشرفة، تعرض من خلالها النظرية بشكل بهي ورائع.

كما لاحظتم في البابين الفائتين، وكما لاحظتم في الفصول السابقة، فإن الحديث عن فرضيات النظرية يعد أمرًا مملًا وجافًا. فالحديث عن النظرية من الجانب النظري والمنهجي يكون عادة ذات صبغة فلسفية بحته، تخلو تمامًا من المتعة والتشويق. أما الجانب العملي التطبيقي للنظرية، والذي سوف نجده في قادم الفصول والصفحات، فسوف يلطف الأجواء، وسوف يريح القارئ بعض الشيء، من الفلسفات القاحلة الجرداء.

وبما أن روبنسون كروزو بالتحديد، هو النص الذي سوف تطبق عليه النظرية، فإن من شأن ذلك أن يحقق ويجلب المتعة والتشويق، واللذان ينشدهما القارئ بدوره أينما حل وأينما ذهب.

وصف الرواية

رواية روبنسون كروزو، تعد واحدة من أبرز وأهم التحف الأدبية، على مستوى سائر الآداب العالمية. وهي تعتبر أحد أهم أعمال الكاتب الإنجليزي دانيال ديفو **Daniel Defoe**. صدرت رواية روبنسون كروزو في العام ١٧١٩، ولذلك يرجح الكثيرين من النقاد ومؤرخي الأدب، أنها أحد أقدم الروايات التي جاءت في تاريخ الأدب الإنجليزي. أي أن روبنسون كروزو بحسب

هؤلاء النقاد والمؤرخين، تعد إحدى الروايات الرائدة والأولى، في تاريخ الرواية الإنجليزية أو الأدب الإنجليزي عمومًا.

تصنف الرواية وبحسب كثيرين من النقاد والمحللين الأدبيين، على أنها تنتمي إلى أدب المغامرة، أو مغامرة البحر تحديدًا. والبعض يرجع انتمائها إلى أدب البيكاريسك **Picaresque Literature** [1]. وفي الحقيقة لا يوجد هناك اختلاف كبير بين كل من أدب المغامرة والبيكاريسك، فكلا الجنسين الأدبيين يحملان تقريبًا مزايا وخصال متشابهة. تنتمي الرواية كذلك إلى أدب الروبنسونات **Robinsonades**، كيف لا ورواية روبنسون كروزو هي حجر الزاوية، والنقطة التي انطلق منها ذلك الجنس الأدبي الراقي.

تعتبر الرواية والتي يناهز عمرها الثلاثمائة عام تقريبًا، أحد أروع وأمتع الروايات التي مرت على ذائقة قراء البشرية جمعاء. هذه الرواية الرائعة لا زالت تمسك بتلابيب الصدارة والريادة، وتؤكد مهما تقدم بها الزمن مدى تفوقها وأفضليتها على الكثير الكثير من الروايات المعاصرة، والتي إنما جاءت كتقليد ومحاكاة لتلك الرواية الساحرة روبنسون كروزو.

حازت روبنسون كروزو على استحسان القراء، كونها كما ذكرنا من قبل بسيطة التركيب، وسهلة اللغة، وعميقة الدلالة، وفائقة الإمتاع، وشديدة الإقناع، وعظيمة التأثير على مزاج القارئ أو المتذوق.

بعض النقاد والباحثين قد يشيرون إلى رواية روبنسون كروزو أو قد يصنفونها، على أنها موجهة للأطفال **Child Literature**. لكن هذا غير صحيح البتة، فالرواية موجهة للبالغين وللأطفال على حد سواء. إذ يمكننا تشبيه الرواية بالسهل الممتنع، حيث أن أحداث الرواية تعتبر سهلة وبسيطة وبالتالي فهي مناسبة وملائمة لفهم صغار السن والأطفال، لكنها في الوقت ذاته تحمل في طياتها دلالات أكبر من عقول الأطفال ومدى تفكيرهم.

(1) Abrams M. H : A Glossary of Literary Terms - Fourth Edition - Holt، Rinehart، and Winston - Texas 1993 - P 131.

فهكذا دلالات تحتاج إلى تفكير عميق واستنتاج وفهم دقيق، من قبل البالغين بالتحديد. كون الرواية تناسب كلًا من البالغين والأطفال على حد سواء، فهذا لا ينتقص البتة من مستواها ولا يقلل من قدرها، بل على العكس تمامًا فذلك ما يساهم في جعلها رواية شهيرة وناجحة، وذائعة الصيت عالميًا.

إذًا السهل الممتنع في الرواية يتمثل في كونها بسيطة وسهلة الظهور والحضور، ولكنها في المقابل عظيمة وعميقة الإيحاءات والدلالات.

تحتوي أحداث رواية روبنسون كروزو كما ذكرنا في مناسبات عديدة، على كم هائل جدًا من العلامات الجغرافية، والتي أسهبنا واسترسلنا كثيرًا في شرحها وذلك عندما تحدثنا عن فرضيات نظرية التحليل الجغرافي للأدب. تحتوي رواية روبنسون كروزو ليس على نوع واحد فحسب من أنواع العلامات الجغرافية، بل تحتوي على كافة أنواع العلامات الجغرافية.

القارئ لرواية روبنسون كروزو يمكنه أن يلاحظ بيسر وسهولة، أن الجغرافيا هي المكون الأكثر شيوعًا، والظاهرة الأكثر بروزًا في تلك الرواية. باختصار شديد يمكننا القول أن الجغرافيا مسيطرة ومهيمنة بالكلية على تلك الرواية، وذلك ما يحقق للجغرافيا الموجودة في الرواية، الوصول وبسهولة إلى درجة المبالغة الجغرافية، والتي عندها تصير الرواية ملائمة لتطبيق نظرية التحليل الجغرافي للأدب.

فضلًا عن الهيمنة الجغرافية أو النفوذ الجغرافي الطاغي في الرواية، تحتوي روبنسون كروزو على علامات وإيحاءات ودلالات دينية، ونفسية، وسوسيولوجية، وفلسفية، وحضارية، وأنثروبولوجية، وغيرها. فبالتأكيد الجغرافيا لا تنفرد بالنص أو بالرواية وحدها، وإنما معها شركاء آخرين وإن كانوا أقل منها مساهمة وظهورًا، إلا أنهم جميعًا وبما فيهم الجغرافيا يتشاركوا مهمة صناعة وخلق الرواية، ومن خلالهم أيضًا تنبعث دلالات وإيحاءات هذه الرواية الرائدة.

من المآخذ التي يأخذها البعض على رواية روبنسون كروزو، هو نمطها الذكوري البحت وخلوها تقريبًا من المشاركة النسائية أو الأنثوية. حيث لا تتضمن الرواية بأسرها سوى شخصيتين نسائيتين اثنتين، والمدهش حقًا هو أن هاتين الشخصيتين كان دورهما ثانوي، أو ربما أقل من ثانوي في هذه الرواية.

لعل الأمر الذي يجد النقاد أنفسهم مرغمين على الاعتراف به، هو أن روبنسون كروزو رواية حقيقية واقعية، أي تنتمي إلى الأدب الواقعي الحقيقي، الخالي من التخييل والمبالغات اللامنطقية.

رواية روبنسون كروزو تعتبر حقيقية وواقعية، لأن كاتبها دانيال ديفو استمد واستلهم فكرتها وأحداثها من التجربة الحقيقية للبحار الاسكتلندي الكسندر سيلكرك **Alexander Selkirk**. والذي بدوره مر بتجربة التشرد والعزلة **Castaway** على أرض جزيرة خوان فيرنانديز **Juan Fernandez** الواقعة في المحيط الهادي، إلى الغرب من سواحل دولة تشيلي. سيلكرك الذي مكث في الجزيرة الباسيفيكية منعزلًا عن العالم لمدة تزيد عن الأربع سنوات، ألهم بتجربته المثيرة دانيال ديفو، والذي بدوره طور حكاية سيلكرك وأعاد صياغتها ونماها، لتصبح فيما بعد الرواية المعروفة بروبنسون كروزو.

قام ديفو بإطلاق اسم روبنسون كروزو على كل من البطل والرواية، على حد سواء. أي أن الرواية تحمل اسم روبنسون كروزو، وكذلك البطل في هذه الرواية يحمل ذات الاسم (روبنسون كروزو).

لم يسمِ ديفو روايته باسم البطل الحقيقي والملهم الكسندر سيلكرك، بل استبدل ذلك بروبنسون كروزو. وفي حقيقة الأمر، لا يعد ذلك هو الشيء الوحيد الذي قام ديفو بتغييره وتبديله في صيغة المسميات والأحداث، الخاصة بالحكاية الحقيقية للبطل الحقيقي الكسندر سيلكرك.

ففي رواية روبنسون كروزو قام ديفو بإضافة الكثير من الأحداث المشوقة، إلى تلك الأحداث الأصلية التي رواها الكسندر سيلكرك عن تجربته المثيرة. فضلًا عن الإضافة، قام ديفو بتغيير العديد من الوقائع والمواقع الهامة، والتي وردت في حكاية تجربة البطل الحقيقي سيلكرك. ولعل أبرز مثال على ذلك هو تغيير ديفو لمكان وموقع الجزيرة، والتي بدورها احتضنت الغالبية العظمى من أحداث الرواية ومجرياتها.

فالجزيرة التي نبذ وانعزل عليها سيلكرك بالفعل، هي خوان فيرنانديز الواقعة في الباسيفيك، إلى الغرب من سواحل تشيلي. أما في نص رواية روبنسون كروزو، فقد قام ديفو بتغيير موقع الجزيرة (خوان فيرنانديز) ليكون في المحيط الأطلسي، وتحديدًا في البحر الكاريبي، أي إلى الشمال من سواحل غويانا وفنزويلا. أو إن شئتم توصيفًا أكثر دقة، فبالقرب من المنطقة التي يتواجد بها مثلث جزر: ترينيداد وتوباجو Trinidad and Tobago وسانت فينسنت Saint Vincent و بربادوس Barbados[1].

مثال آخر على التغييرات التي أدخلها ديفو، على صيغة حكاية التجربة الحقيقية لسيلكرك. هو استبداله للجنسية الاسكتلندية للبطل الحقيقي والملهم للرواية (الكسندر سيلكرك)، بالجنسية الإنجليزية للبطل الجديد الذي قام بابتداعه (روبنسون كروزو).

ربما كان يتوجب على ديفو الإبقاء على الجنسية الاسكتلندية للبطل، حتى ولو كان هذا البطل هو روبنسون كروزو، وذلك ربما كنوع من الامتنان والعرفان بالجميل إلى الكسندر سيلكرك الذي لولاه لما جاءت فكرة الرواية من حيث الأساس. إلا أن ديفو مدفوعًا ربما بنوع من الشوفينية والوطنية الزائدة عن الحد، بدل جنسية البطل إلى الجنسية الإنجليزية، ربما ليشير إلى أن روبنسون الحكيم، روبنسون التائب، روبنسون الذكي والمبدع، روبنسون السوبر مان والقوي، روبنسون اليوطوبي، هو رمز ودلالة وصورة للرجل الإنجليزي المثالي.

(1) نفهم مما سبق، أن ديفو لم يأخذ بنموذج التجربة الحقيقية لسلكرك كما هو، بل غير وبدل فيه كثيرًا.

وفي المقابل ربما لا يكون حب الوطن والتعصب لإنجلترا، هو الدافع الذي دفع ديفو ليجعل جنسية بطل روايته إنجليزي وليس اسكتلندي!!.

على أي حال، تختلف مواقف النقاد الأدبيين وتتنوع، تجاه الإيحاءات والدلالات التي تفضي إليها الرواية. فهناك فئة من النقاد الأدبيين هاجمت الرواية وانتقدتها، بحجة أنها تحمل دلالات وإيحاءات لا أخلاقية ولا إنسانية، وأن روبنسون كروزو كشخصية يرمز إلى الإنسان الكولونيالي والإمبريالي الشرير. وفي المقابل هناك فئة أخرى من النقاد مدحوا الرواية كثيرًا وأبدوا إعجابهم بها، معتقدين أنها تحمل رسائل تربوية وأخلاقية، من حيث كونها ملئا بالحكم والعبر والعظات.

تعد روبنسون كروزو رواية غنية بالأفكار الأدبية، أو الثيمات والموتيف **Themes & Motifs** كما يسميها البعض. فالعصيان، والمغامرة، والندم والحسرة، والمعاناة النفسية، والاكتئاب، والابتكار، والإبداع، والوحدة والانعزال، والتوبة، واستخلاص العبر من الأخطاء والخطايا، وعدم الاستقرار، والاستكشاف الجغرافي، والخوف، والتهور، هذه جميعها أفكار تنطبق على حال الرواية ولو جزئيًا في أحد مراحلها أو محطاتها. وبإمكان من يبحث بمزيد من التدقيق والتمحيص، أن يعثر داخل الرواية على المزيد من أمثال هذه الأفكار والمواضيع الأدبية.

وتعج الرواية كذلك بالكثير من الرموز، فمن أراد أن ينظر إلى الرواية من منظور الرمزية **Symbolism**، بإمكانه وبالقليل من الفطنة والذكاء والملاحظة، أن يعثر على أعداد كبيرة جدًا من الرموز في هذه الرواية الرائعة. فما الجزيرة، والسفينة، والجبل، والقراصنة، والبحر، وروبنسون، وفرايدي، وآكلي لحوم البشر، وآثار الأقدام البشرية، إلا بعض نماذج للرموز الوفيرة التي تعج بها الرواية. ومما لا شك فيه أن كل من هذه الرموز، له دلالاته وإيحاءاته العميقة والواسعة.

كونها أحد أقدم الروايات التي كتبت في تاريخ الأدب الإنجليزي، وكونها جاءت مميزة وجذابة وذات طابع خاص، صارت روبنسون كروزو نموذج يحتذى به، ومصدرًا للتأثير، وتجربة أصيلة

وعظيمة تستحق المحاكاة والتقليد. بحيث راح الكثيرين من الكتاب والمؤلفين سواء المعاصرين لديفو أو اللاحقين، يستلهموا أفكار رواياتهم وأعمالهم الأدبية من الإبداع الذي سطره ديفو في رواية روبنسون كروزو. بالفعل كانت رواية روبنسون كروزو بمثابة المنارة التي اهتدت بها إبداعات الكثيرين من الكتاب والأدباء.

تأثر سكوت أوديل Scott O'Dell برواية ديفو عندما كتب روايته جزيرة الدلافين الزرقاء Island of the Blue Dolphins، وكذلك يوهان ديفيد وياس عندما كتب رواية عائلة روبنسون السويسرية The Swiss Family Robinson، وكذلك روبرت لويس ستيفنسون Robert Louis Stevenson عندما كتب رواية جزيرة الكنز Treasure Island، وجول فيرن Jules Verne عندما كتب رواية الجزيرة الغامضة Mysterious Island، وغيرهم الكثيرين من الكتاب والأدباء العالميين.

جميع الروايات سابقة الذكر تنتمي إلى عائلة (الروبنسونات)، أي أن الروايات سالفة الذكر هي بعض نماذج من الروبنسونات. وقد سبقت الإشارة إلى الروبنسونات من قبل، على أنها جنس أدبي يتضمن الأعمال الأدبية التي جاءت متأثرة بنمط أو فكرة رواية روبنسون كروزو.

الأثر والنفوذ العظيم لرواية روبنسون كروزو، تخطى مدى تأثيرها على الكتاب وكتاباتهم الأدبية فحسب. بل وصلت معالم ذلك الأثر أو التأثير إلى مجالات أخرى، كالسينما على سبيل المثال. ولعل المراقب للكثير من الأفلام والمواد السينمائية الأخرى، يلاحظ ذلك الوجود الكبير لفكرة روبنسون كروزو والروبنسونات في هذه الأفلام والمواد السينمائية. ولا غرابة في أن نجد أن الكثير من أفكار أفلام هوليوود بالتحديد، هي أصلًا مستمدة ومستوحاة من الروبنسونات والرواية الأم روبنسون كروزو.

ولعل أبرز النماذج الدالة على ذلك، تتمثل في فيلم روبنسون كروزو Robinson Crusoe Movie للمخرجين رود هاردي Rod Hardy و جورج ميلر George Miller، وفيلم كاست

أوي Castaway للمخرج روبرت زيمكس Robert Zemeckis، وفيلم ستة أيام وسبعة ليالي Six Days Seven Nights للمخرج إيفان رتمان Ivan Reitman، وفيلم جحيم في الباسيفيك Hell in the Pacific للمخرج جون بورمان John Boorman، وسلسلة أفلام قراصنة الكاريبي Pirates of the Caribbean للمخرج غوري فيربنسكي Gore Verbinski وغير ذلك الكثير والكثير من النماذج الأخرى.

مجريات الرواية

روبنسون كروزو كان شابًا إنجليزيًا، يعيش في مدينة هل Hull الواقعة في الجزء الشمالي من إنجلترا. ووالده الذي ينحدر من أصول ألمانية، كان يحذوه الأمل في أن يصير ولده روبنسون محاميًا. كان الوالد يعلق على ولده روبنسون آمال عريضة، لأنه سبق وأن فجع في ولديه الأكبر سنًا من روبنسون. لذلك كان والد روبنسون كروزو يحرص وبشدة، على ألا يفقد روبنسون كما فقد ولديه الأولين.

لكن روبنسون كروزو كان ولدًا شقيًا وعنيدًا، بحيث تجاهل كل رغبات أبيه ووعظه وإرشاده المتكرر له. كان روبنسون كروزو متمردًا، عندما أصر على التفكير في خوض المغامرات البحرية، ضاربًا عرض الحائط كل النصائح والإرشادات والتوجيهات التي كان يسديها إليه والده، وضاربًا عرض الحائط أيضًا كل توسلات أمه المسكينة المكلومة، التي فجعت من قبل في ولديها البكريين.

أصر روبنسون كروزو على الاستمرار في عقوق والديه، ومخالفة رغباتهم وتوجيهاتهم. فرافق أحد أصدقائه، على متن سفينة والد ذلك الصديق، في رحلة بحرية إلى لندن. لكن نظرًا لسوء الأحوال الجوية وهيجان المحيط بأثر ذلك، كان روبنسون على موعد مع نحسه الأول، حيث اضطرت السفينة إلى الرسو اضطراريًا في ميناء يارموث Yarmouth. وعندما صارح روبنسون

صديقه بحقيقة عصيانه لأبويه وخروجه عن إرادتيهما، قال له والد صديقه أنه ينبغي عليه ألا يركب معهم البحر مرة أخرى، وألا يواصل معهم الرحلة. وبالفعل لم يواصل روبنسون مشواره إلى لندن عن طريق البحر، بل توجه من يارموث إلى لندن قاصدًا السبل البرية.

عندما وصل روبنسون إلى لندن انتابته حيرة شديدة، لقد كان حائرًا ومترددًا بين العودة إلى أهله وطلب العفو والسماح منهم، أو مواصلة مغامراته الغامضة والمحفوفة بالمخاطر. قرر روبنسون في نهاية المطاف أن يواصل مغامراته البحرية، حيث قرر أن يبحر إلى غينيا. وبالفعل يشتري روبنسون بعض البضائع من لندن ويحملها معه إلى غينيا ويبيعها هناك، ليكون بذلك تاجرًا ناجحًا وليس مغامرًا شقيًا فحسب !.

كان روبنسون مرة أخرى على موعد مع نحسه، أو ربما لعنة والديه التي تطارده، وذلك عندما قام القراصنة العثمانيين بمهاجمة السفينة التي يستقلها هو ومن معه، إذ كانت السفينة مبحرة في مياه المحيط الأطلسي. قام القراصنة العثمانيين باختطاف جميع أفراد طاقم السفينة وركابها، واقتادوهم إلى مدينة سلا Sallee الساحلية. ومنذ ذلك الحين صار روبنسون عبدًا ومملوكًا في أيدي القراصنة العثمانيين.

صار روبنسون عبدًا عند سيده العثماني في مدينة سلا. مكث روبنسون في عبوديته تلك لمدة عامين، لم يتوان خلالهما عن المحاولات الحثيثة والمستمرة، من أجل الهرب واستعادة حريته التي سلبت منه.

كان روبنسون على موعد مع الخلاص والحرية اللذان طال انتظارهما، وذلك عندما أرسله سيده العثماني برفقة شابين آخرين ليصطادوا له بعضًا من الأسماك. وبالفعل يذهب روبنسون ورفيقيه في مهمة الصيد ليصطادوا، فيرى روبنسون أن الفرصة التي انتظرها طويلًا من أجل الفرار والإنعتاق من نير العبودية قد حانت، فيجعل منها بالفعل محاولة جادة للفرار.

يتخلص روبنسون من أحد زميليه في رحلة الصيد تلك، فيرميه في المحيط، أما الآخر واسمه كزوري Xury فيتعهد أن يبقى وفيًا له، فيبقيه روبنسون على قيد الحياة، ليواصل معه المشوار فيما بعد.

لم يكن الهروب من قبضة القراصنة أمرًا سهلًا، فقد واجهت روبنسون ورفيقه كزوري الكثير من المصاعب والتحديات، إلى أن عثرا على سفينة برتغالية في عرض المحيط. قائد تلك السفينة أي القبطان البرتغالي كان رجلًا ودودًا وعطوفًا، بحيث أشفق على روبنسون ورفيقه وأدرك مدى حاجتيهما إلى المساعدة والنجدة، فحملهما على ظهر سفينته، وتعهد أن يأخذهما معه مجانًا وبدون مقابل إلى البرازيل. عندما وصلت السفينة البرتغالية إلى البرازيل، نزل روبنسون ليعيش هناك، وذلك بعد أن تنازل للقبطان البرتغالي عن كزوري. أي بقي روبنسون في البرازيل، بينما ظل كزوري مع القبطان، والذي عاد بدوره إلى أوروبا.

بعد أن رفض روبنسون أن يعود مع القبطان إلى اليابسة الأوروبية، بدا أنه مصمم على خوض مغامرة جديدة في البرازيل. تأمل روبنسون في البرازيل من حوله، فوجد أنها تعج بالمزارع والحقول وتفيض بالخيرات المختلفة. لقد استنتج روبنسون أن الزراعة هي أحد أفضل المشاريع التي بالإمكان القيام بها في هذا البلد. لذلك أصر روبنسون على شراء مزرعة خاصة به، وهذا ما تم بالفعل.

تطور النشاط الزراعي لروبنسون في البرازيل، إذ وسع ونما من أعماله، وصار معه شركاء في المزارع. أراد روبنسون أن يطور من نشاطه المقتصر على الزراعة، ليشمل التجارة أيضًا. تزامنًا مع ذلك أبدى بعض ملاك المزارع في البرازيل رغبتهم في استيراد العبيد الزنوج، من أجل العمل في مزارعهم، والتي كان ينقصها الكثير من الأيدي العاملة.

أراد التجار وملاك المزارع في البرازيل أن يبعثوا وفدًا منهم ليجلب العبيد من غينيا، على أن يكون قائد هذا الوفد أو هذه البعثة هو روبنسون، وذلك نظرًا لخبراته السابقة. رغم أن

روبنسون كان غير محتاج ماديًا، إلا أنه وافق على قيادة تلك البعثة التجارية، ربما كنوع من المغامرة.

انطلقت السفينة من الساحل الشمالي للبرازيل، وعلى متنها روبنسون وبقية البعثة وطاقم السفينة. ما أن أبحرت السفينة قليلًا إلى الشمال الشرقي، حتى جاءت العاصفة وهاج المحيط ، لتتحول السفينة إلى صندوق جحيم وخراب. بدأت السفينة تتحطم شيئًا فشيئًا، يبدو أن روبنسون قد كان على موعد مرة أخرى مع نحسه الذي يطارده أينما حل وأينما ذهب، أو ربما كانت تلك لعنة والديه التي تلاحقه هي الأخرى.

وجه المحيط ضربته القاضية إلى السفينة، فتحطمت أجزاء منها وغرقت تحت الماء أجزاء أخرى. غرق جميع من على السفينة أو بداخلها من آدميين، لكن ظل روبنسون وحده فقط على قيد الحياة، إذ بقي لمدة من الوقت يصارع الأمواج العاتية والمحيط المجنون. لقد انتابه إعياء شديد وكان قاب قوسين أو أدنى من اللحاق ببقية رفاقه الصرعى، إلا أنه على ما يبدو قد كتب له عمر جديد. شرب روبنسون الكثير من مياه المحيط وتحطمت عظامه من خبطات الأمواج، إلى أن قذفته تلك الأمواج منهكًا محطمًا على شاطئ ما.

شق روبنسون طريقه إلى داخل اليابسة، متجاوزًا ذلك الساحل الغامض. اكتشف روبنسون فيما بعد، أنه قد نبذ لا محالة على أرض جزيرة نائية خالية تمامًا من السكان. تراكمت التحديات دفعة واحدة في وجه روبنسون، إذ أدرك أن الحياة سوف تكون صعبة ومخيفة على أرض هذه الجزيرة المجهولة. لكنه صمم على التكيف مع كافة تلك التحديات، فبالرغم من أن أرض الجزيرة تفتقر إلى أدنى مقومات الحياة، إلا أن روبنسون تمرد على ذلك الواقع الصعب والمعقد.

سبح روبنسون نحو حطام السفينة، وجلب من داخلها بعض المنافع والأدوات والمواد، التي ساعدته في تحقيق ولو القليل من معالم الحياة المدنية على أرض الجزيرة البدائية. قام روبنسون

فيما بعد بتشييد مسكنه الخاص، وبدأ يدون تقويمًا خاصًا به ليعرف التاريخ والأيام، وقام بزراعة بعض الحبوب التي جلبها من حطام السفينة فصارت تدر له غلالًا وفيرة، وقام باصطياد بعض الحيوانات البرية ليأكل من لحومها، وصنع أسلحة وتحصينات ليحمي بها نفسه.

بعد نجاته وحده دون سواه من الغرق، وانعزاله على أرض الجزيرة وحيدًا، أدرك روبنسون أن ذلك الأمر يحمل في طياته حكمة إلهية. إذ أدرك أن ذلك ربما يكون نوعًا من الغضب الإلهي أو العقاب. راجع روبنسون نفسه وأقر بتقصيره تجاه ربه وعدم شكره وذكره له. اعترف روبنسون بخطاياه الكثيرة وقرر التوبة إلى الله ، إذ صار متدينًا وصار يداوم على الصيام، وكذلك صار يداوم على قراءة الأناجيل التي انتشلها من حطام السفينة. صار روبنسون حليمًا وحكيمًا أكثر من ذي قبل، وصار يشكر الله على كل ضرر يمسه أو يصيبه.

أمضى روبنسون أكثر من عشرين عامًا من وحدته على أرض الجزيرة، دون أن ينجح في كسر عزلته، أي من خلال عبور مياه المحيط واجتيازها إلى مكان آخر من اليابسة، وكذلك دون أن يجد لنفسه أنيسًا آدميًا يشاركه الحياة بالمعنى السوسيولوجي على أرض الجزيرة.

بعد أربع وعشرين عامًا من انعزاله وحيدًا على أرض الجزيرة، كان روبنسون يتجول ذات يوم في مكان ما على أرض الجزيرة، فوجد بالصدفة آثار لأقدام آدمية. ومن هنا بدأ كل من الخوف والذعر يدبان في قلب روبنسون.

بعد فترة من التوتر والذعر الشديد، كانت هي الأسوأ في حياته المملة على أرض الجزيرة، تمكن روبنسون من معرفة حقيقة آثار الأقدام، إذ اكتشف أن قومًا متوحشين من آكلي لحوم البشر، يأتون إلى ساحل الجزيرة ومعهم أسرى ليأكلوهم هناك.

قرر روبنسون أن يراقب المنطقة الساحلية التي ترسو عندها قوارب المتوحشين آكلي لحوم البشر، وذلك كي يسعى في المرة القادمة، أن ينقذ الأسرى من قبضة اولئك المتوحشين، قبل أن يفتكوا بهم ويأكلوهم.

مرت شهور كثيرة، وروبنسون في كل يوم، يمضي نهاره بالكامل في رصد ومراقبة المنطقة الساحلية، والتي من المحتمل أن ترسو عندها قوارب المتوحشين. لكن بلا فائدة، فقد طال انتظار المتوحشين دون أن يأتوا. لكن روبنسون كان صبورًا وحكيمًا ومثابرًا بما فيه الكفاية، فأخيرًا وبعد طول انتظار، جاء المتوحشين ونزلوا بساحل الجزيرة، وكان معهم أسيرين اثنين. هموا بذبح الأول كي يلتهموه، بينما هرب الثاني من قبضتهم. انتهز روبنسون الفرصة فهاجم المتوحشين بأسلحته النارية التي تضمن له التفوق على كثرتهم العددية، فقتل من قتل منهم وفرت البقية إلى المحيط. وبهذا ساعد روبنسون على تحرير الأسير الثاني الذي بقي على قيد الحياة، والذي سماه روبنسون فيما بعد فرايدي Friday.

كان فرايدي ممتنًا شديد الامتنان لسيده روبنسون، فقد أنقذ حياته بأعجوبة من بين براثن المتوحشين. بكل إخلاص، سخر فرايدي نفسه كي يكون خادمًا مطيعًا ووفيًا لسيده روبنسون.

أما روبنسون فقد قام بدوره بحملة تعليم وتنوير لفرايدي، فكانت أبرز نتائج تلك الحملة هي تعلم فرايدي للكثير من مفردات الإنجليزية، واعتناقه للمسيحية بدلًا من ديانته الوثنية، وتعلمه كذلك للعديد من أساليب وعادات وطباع الحياة الأوروبية المتحضرة، المتطورة إذا ما قورنت بحياته السابقة البدائية والمتخلفة.

انسجم روبنسون في حياته مع فرايدي. لكنهما عاشا يومًا بيوم، ينتظران بترقب الغارة الجديدة (غارة الثأر)، التي سيشنها المتوحشين آكلي لحوم البشر على أرض الجزيرة. ظل روبنسون وفرايدي ينتظران بتوتر وقلق، حتى رست قوارب المتوحشين الهمجيين ذات يوم على ساحل الجزيرة، وكان وقتها في قبضتهم ثلاثة أسرى. تعاون كل من روبنسون وخادمه فرايدي واجتهدا، فاستطاعا بعد خوضهما معركة شرسة مع المتوحشين، أن يفتكا بهم وأن يحررا من قبضتهم أسيرين اثنين من أصل ثلاثة أسرى.

أحد الأسيرين كان والد فرايدي، أما الأسير المحرر الآخر فقد كان رجلًا أسبانيًا. فرح فرايدي كثيرًا عند رؤيته لوالده، أما روبنسون فقد أكرم ضيفاه ورحب بهما بحفاوة. انتابت روبنسون بهجة غامرة، فقد من الله عليه برفقاء يؤنسوا وحشته ويسلونه، بعد أن ظل لسنوات طويلة يعيش على أرض الجزيرة بلا رفيق ولا أنيس.

استأذن الرجل الأسباني من روبنسون، كي يبحر هو ووالد فرايدي إلى يابسة أخرى ليست ببعيدة، كي يجلبا بقية الرجال الأسبان العالقين هناك. بعد أن أملى روبنسون (ملك الجزيرة) شروطه وتعليماته على الرجل الأسباني، أخبره بعدم الممانعة. ذهب الرجل الأسباني وبرفقته والد فرايدي إلى يابسة أخرى قريبة من الجزيرة، كي يجلبان الرجال الأسبان من هناك، ويعودان بهم إلى جزيرة روبنسون.

فرح روبنسون أشد الفرح، لأن جزيرته سوف لن تبقى مأهولة به هو وفرايدي فحسب، بل ستصير مأهولة بسكان كثر، بإمكانهم أن ينشئوا على أرضها مجتمعًا ولو بالمعنى البسيط لكلمة مجتمع، كما وبإمكانهم أن يقفوا سدًا دفاعيًا صلدًا أمام هجمات المتوحشين آكلي لحوم البشر، مهما بلغت ضراوة وحدة تلك الهجمات.

قبل أن يعود والد فرايدي والرجل الأسباني وبرفقتهما بقية الرجال الأسبان، رسا قارب أوروبي على شاطئ الجزيرة، وقد كان هذا القارب يقل مجموعة من الخاطفين وبحوزتهم ثلاثة رجال مخطوفين. بينما تفرق الخاطفين وراحوا يستكشفون الجزيرة، تسلل روبنسون إلى المختطفين، فتواصل معهم وعرف أن أحدهم كان قائد سفينة مختطفة.

اتفق روبنسون مع قائد السفينة، على أن يحرره هو ورجليه من قبضة الخاطفين، وأن يعيد له سفينته المختطفة كذلك، شريطة أن يتعهد قائد السفينة هو ورفيقيه باحترام سلطة روبنسون المطلقة على أرض الجزيرة، وأن يتعهد قائد السفينة كذلك، بأن يحمل روبنسون وفرايدي مجانًا على ظهر سفينته إلى إنجلترا.

نجح كل من روبنسون وخادمه فرايدي، في تحرير المختطفين الثلاثة. وبفضل ذكاء روبنسون، نجحوا جميعًا في تحرير السفينة من قبضة الخاطفين. أوفى قائد السفينة بتعهده، فحمل روبنسون وفرايدي على ظهر سفينته وأخذهما معه إلى إنجلترا.

ودع روبنسون جزيرته، بعد أن قضى فيها ثمانية وعشرين عامًا من العزلة. وبعد رحلة طويلة فوق مياه الأطلسي، وصل روبنسون ورجله فرايدي بسلام، فوطأت قدمي روبنسون أرض إنجلترا، بعد قرابة خمسة وثلاثين عامًا من التشرد والغياب.

في إنجلترا، وجد روبنسون أن كل أفراد عائلته قد فارقوا الحياة، عدا اثنتين من أخواته واثنين من أبناء أخوته. لم يمكث روبنسون في إنجلترا طويلًا، فسرعان ما سافر بحرًا إلى لشبونة، وبالطبع كان فرايدي برفقته.

في لشبونة ذهب روبنسون إلى القبطان، الذي سبق وأن أخذه إلى البرازيل في بادئ مغامراته. أراد روبنسون من القبطان أن يساعده في التعرف على مصير مزارعه في البرازيل.

من حسن حظ روبنسون أن مزارعه في البرازيل قد نمت وتطورت وازداد إنتاجها كثيرًا عن ذي قبل، وكان شركاء روبنسون في هذه المزارع ظنوه قد مات في حادثة السفينة. لذلك فقد كانت حصة روبنسون السنوية من الأرباح، تذهب إلى حساب الملك والجمعيات الخيرية.

بظهوره المفاجئ أثبت روبنسون رسميًا وقانونيًا أنه ما زال على قيد الحياة. وبفضل مساعدة القبطان البرتغالي وابنه، تمكن روبنسون من تحصيل ثروته الطائلة في البرازيل.

خوفًا من سوء حظ جديد قد يواجهه في المحيط ، قرر روبنسون أن يسافر هو وفرايدي من البرتغال إلى إنجلترا عبر السبل البرية. ليس لوحدهما، وإنما كان برفقتهما العديد من الرجال، سافر كل من روبنسون وفرايدي برًا إلى إنجلترا، مرورًا بأسبانيا وفرنسا.

وصل كل من روبنسون وفرايدي إلى إنجلترا بسلام، لكنهما لم يكونا بعيدان عن سوء الحظ في تلك الرحلة البرية المجنونة والمحفوفة بالمخاطر. فقد أفلت روبنسون وفرايدي ورفقاء السفر من الموت المحقق في مناسبات عديدة، لعل أبرزها عندما هاجمهم الدب المتوحش، وعندما هاجمتهم قبائل الذئاب المسعورة.

عاد روبنسون إلى إنجلترا مرة أخرى، فتزوج وأنجب ولدين اثنين وبنت واحدة. توفيت زوجة روبنسون، ليعود مرة أخرى إلى ركوب البحر، وليعمل كتاجر بحري هذه المرة. وبالمناسبة زار روبنسون جزيرته التي نبذ فيها ثمانية وعشرين عامًا، كي يتفقد أحوالها والأوضاع التي آلت إليها.

obeikandl.com